رحلة الطالب في التمذهُبِ

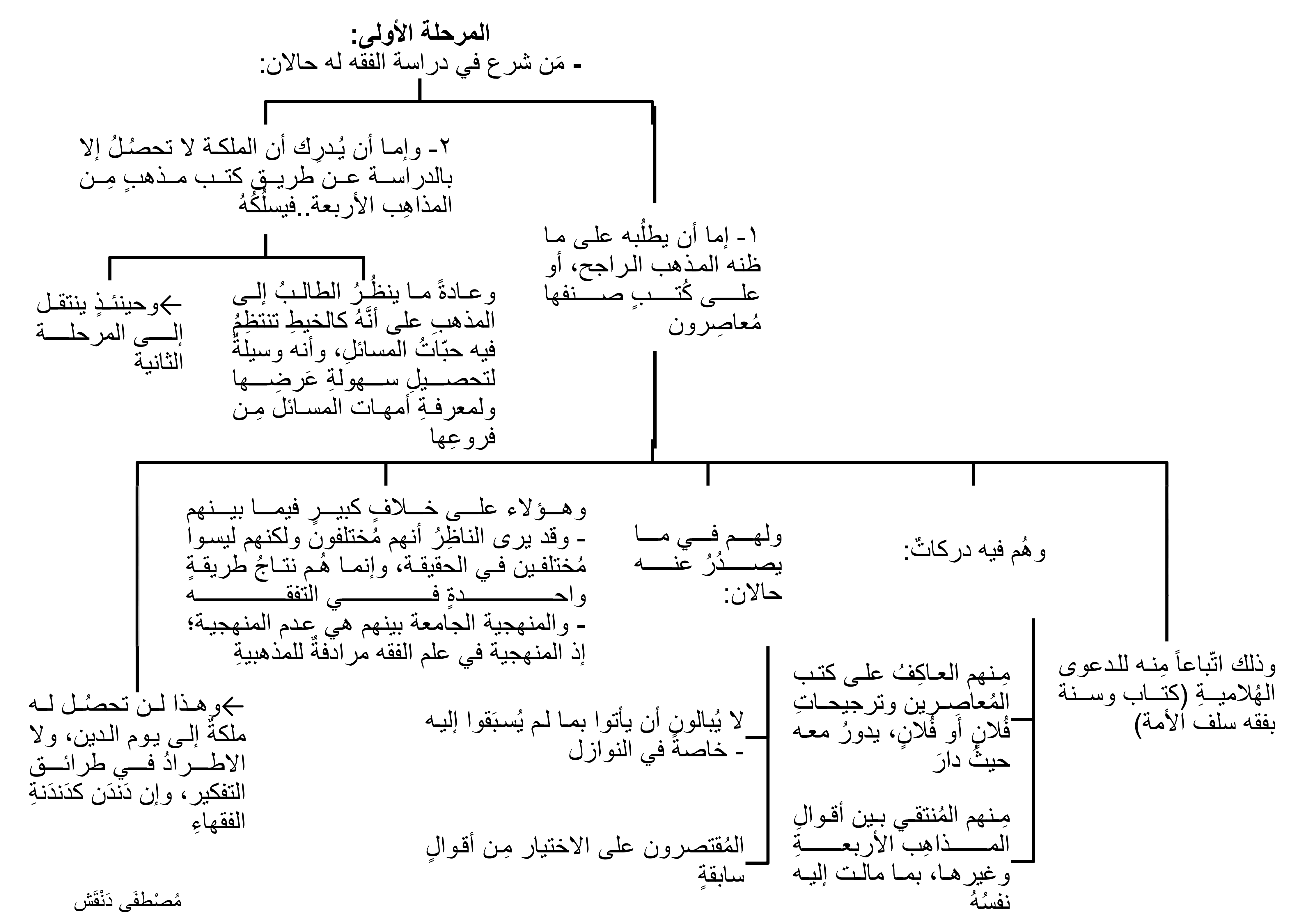
مُصْطفَى دَنْقَش

مقدمة

المراحل المذكورة هنا هي ترقّي في طرق التفكير

المراحل المذكورة هُنا قد تحصُلُ للطالب أثناء دراسةِ كتابٍ واحدٍ أو أثناء دراسةِ عدة كتبٍ

مبنى القسمة المذكورة في ثنايا المراحل الآتية مبناها القسمة العقلية، وإن ظهر إنّ مبناها الاستقراء


المرحلة الأولى:
- مَن شرع في دراسة الفقه له حالان:
١- إما أن يطلُبه على ما ظنه المذهب الراجح، أو على كُتبٍ صنفها مُعاصِرون
٢- وإما أن يُدرِك أن الملكة لا تحصُلُ إلا بالدراسة عن طريقِ كتب مذهبٍ مِن المذاهِب الأربعة..فيسلُكُهُ
وعادةً ما ينظُرُ الطالبُ إلى المذهبِ على أنَّهُ كالخيطِ تنتظِمُ فيه حبّاتُ المسائلِ، وأنه وسيلةٌ لتحصيلِ سهولةِ عَرضِها ولمعرفةِ أمهات المسائل مِن فروعِها
وحينئذٍ ينتقل إلى المرحلة الثانية
وذلك اتّباعاً مِنه للدعوى الهُلاميةِ (كتاب وسنة بفقه سلف الأمة)
وهُم فيه دركاتٌ:
مِنهم العاكِفُ على كتب المُعاصِرين وترجيحاتِ فُلانٍ أو فُلانٍ، يدورُ معه حيثُ دارَ
مِنهم المُنتقي بين أقوالِ المذاهِب الأربعةِ وغيرِها، بما مالت إليه نفسُهُ
ولهم في ما يصدُرُ عنه حالان:
لا يُبالونِ أن يأتوا بما لم يُسبَقوا إليه - خاصةً في النوازل
المُقتصرون على الاختيار مِن أقوالٍ سابقةٍ
وهؤلاء على خلافٍ كبيرٍ فيما بينهم
- وقد يرى الناظِرُ أنهم مُختلفون ولكنهم ليسوا مُختلفين في الحقيقة، وإنما هُم نتاجُ طريقةٍ واحدةٍ في التفقه
- والمنهجية الجامعة بينهم هي عدم المنهجية؛ إذ المنهجية في علم الفقه مرادفةٌ للمذهبيةِ
وهذا لن تحصُل له ملكةٌ إلى يوم الدين، ولا الاطرادُ في طرائق التفكير، وإن دَندَن كدَندَنةِ الفقهاءِ
مُصْطفَى دَنْقَش

المرحلة الثانية: إما..

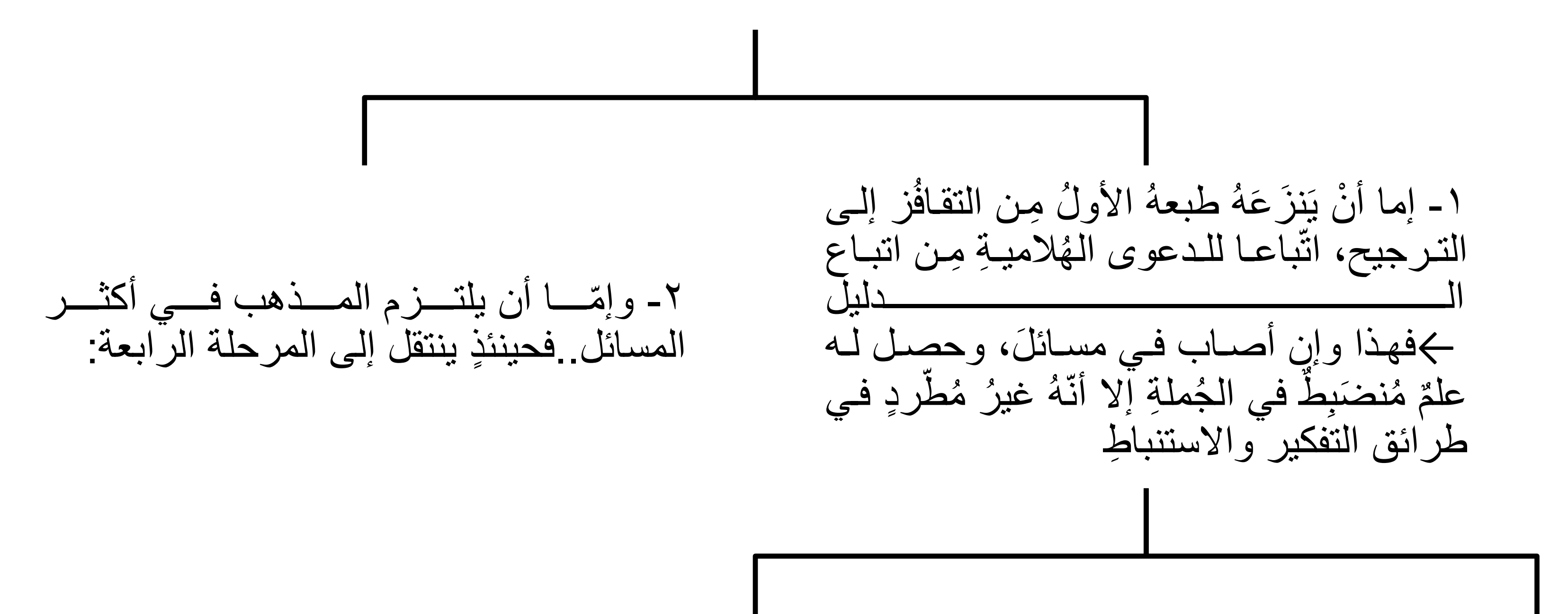
١- أن يقفز في الفقه استعجالاً مِنه لِما فاتَهُ في فترة التخبط، فيشرع في كتب المتوسطين أو المُنتهين أو يقفز مِن متنٍ لآخر دون ضبطِ الأول ←فهذا يُضِيعُ مزيداً مِن الوقتِ دون تحصيلٍ مُنضبطٍ

٢- أو أن يتدرج في المذهب مِن كتب المُبتدئين إلى المُتوسطين إلى المُنتهِين

وذلك كما يبدأ طالبُ النحو - مثلاً- بالآجرومية مع استشراحِها ثُم القطر الندى ثم الألفية كذلك، فالتسهيل كذلك، وهكذا في الفقه، كلٌّ حسب مذهبِهِ - وذلك إدراكاً مِنه أن العلومَ كلها تجري على وزانٍ واحدٍ، فكما يلزمُ التدرّج في علمٍ..لزم ذلك في آخرَ

←وحينئذٍ ينتقل إلى المرحلة الثالثة

المرحلة الثالثة: له حالان:

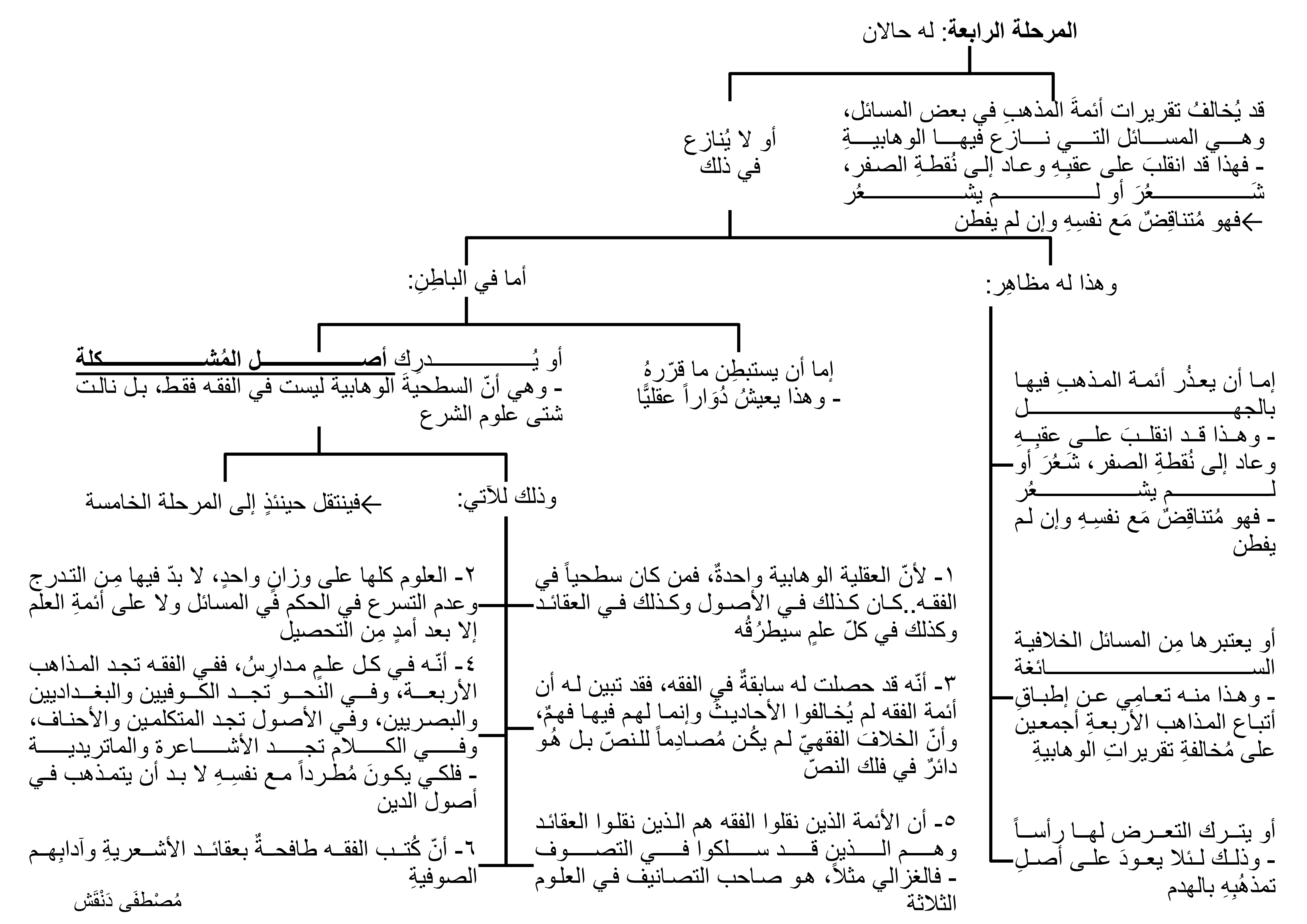


لأنّه يلزمُ الفقيهَ مِن نقلِ فرعٍ مُعيّنٍ مِن حُكمٍ لآخر نقلُ نظائرِهِ من المسائلِ الأخرى والتي يفطّن ذلك الطالبُ المُتأرجِحِ لها
- وإن لم يفعل..كان..

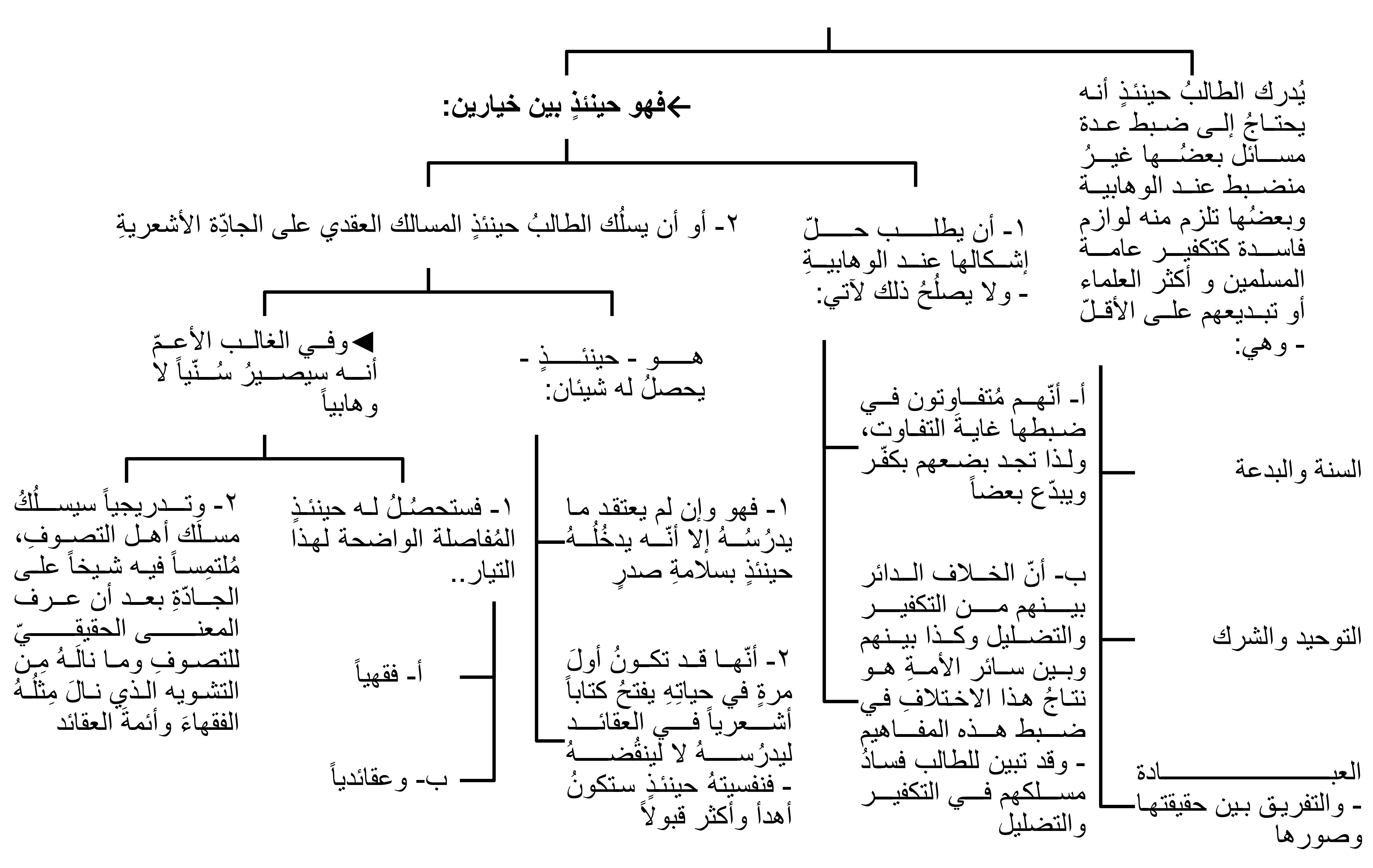
ولأنّ التزامَ مذهبٍ تسليمٌ بإمامةِ وأعلميةِ أهلِهِ كأصلٍ ثابِتٍ، وبأنّهُ لم يتأهل بعدُ
- فيجبُ على الطالِبِ حينئذٍ مِن ردّ تفاصيلِ المسائل وُمتشابِهِها عليه إلى ذلك الأصلِ المُحكم

مُتناقِضاً

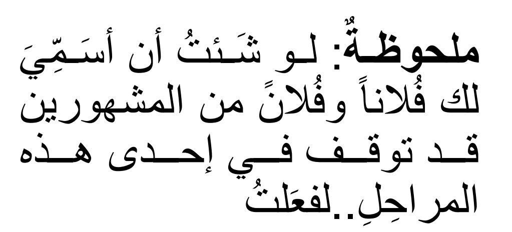
أو ناسباً التناقُضَ إلى الشرع


المرحلة الرابعة: له حالان
قد يُخالفُ تقريرات أئمةَ المذهبِ في بعض المسائل، وهي المسائل التي نازع فيها الوهابيةِ
- فهذا قد انقلبَ على عقبِهِ وعاد إلى نُقطةِ الصفر، شَعُرَ أو لم يشعُر
←فهو مُتناقِضٌ مَع نفسِهِ وإن لم يفطن
أو لا يُنازع في ذلك
وهذا له مظاهِر:
إما أن يعذُر أئمة المذهبِ فيها بالجهل
- وهذا قد انقلبَ على عقبِهِ وعاد إلى نُقطةِ الصفر، شَعُرَ أو لم يشعُر
- فهو مُتناقِضٌ مَع نفسِهِ وإن لم يفطن
أو يعتبرها مِن المسائل الخلافية السائغة
- وهذا منه تعامِي عن إطباقِ أتباع المذاهب الأربعةِ أجمعين على مُخالفةِ تقريراتِ الوهابيةِ
أو يترك التعرض لها رأساً
- وذلك لئلا يعودَ على أصلِ تمذهُبِهِ بالهدم
أما في الباطِن:
إما أن يستبطِن ما قرّرهُ
- وهذا يعيشُ دُواراً عقليًّا
أو يُدرِك **أصل المُشكلة**
- وهي أنّ السطحيةَ الوهابية ليست في الفقه فقط، بل نالت شتى علوم الشرع
وذلك للآتي:
←فينتقل حينئذٍ إلى المرحلة الخامسة
١- لأنّ العقلية الوهابية واحدةٌ، فمن كان سطحياً في الفقه..كان كذلك في الأصول وكذلك في العقائد وكذلك في كلّ علمٍ سيطرُقُه
٢- العلوم كلها على وزانٍ واحدٍ، لا بدّ فيها مِن التدرج وعدم التسرع في الحكم في المسائل ولا على أئمةِ العلم إلا بعد أمدٍ مِن التحصيل
٣- أنّه قد حصلت له سابقةٌ في الفقه، فقد تبين له أن أئمة الفقه لم يُخالفوا الأحاديثَ وإنما لهم فيها فهمٌ، وأنّ الخلافَ الفقهيّ لم يكُن مُصادِماً للنصّ بل هُو دائرٌ في فلك النصّ
٤- أنّه في كل علمٍ مدارِسُ، ففي الفقه تجد المذاهب الأربعة، وفي النحو تجد الكوفيين والبغداديين والبصريين، وفي الأصول تجد المتكلمين والأحناف، وفي الكلام تجد الأشاعرة والماتريدية
- فلكي يكونَ مُطرداً مع نفسِهِ لا بد أن يتمذهب في أصول الدين
٥- أن الأئمة الذين نقلوا الفقه هم الذين نقلوا العقائد وهم الذين قد سلكوا في التصوف
- فالغزالي مثلاً، هو صاحب التصانيف في العلوم الثلاثة
٦- أنّ كُتب الفقه طافحةٌ بعقائد الأشعريةِ وآدابِهم الصوفيةِ
مُصْطفَى دَنْقَش

المرحلة الخامسة:



مُصْطَفَى دَنْقَش


ملحوظةٌ: لو شئتُ أن أسمِّيَ لك فُلاناً وفُلانً من المشهورين قد توقف في إحدى هذه المراحِلِ..لفعَلتُ

مُعوِّقات السلوك في هذه المراحلِ أو التوقف في مرحلةٍ مِنها

انطباعية: مبناها ما تلقاهُ وهو في بداية الطلب مِن مُنافرة عامّة أهل العلم عبر القرون وأنه على ضلالٍ مِما اهتدت إليه طائفته

مصلحية: مبناها الانتماء إلى جماعةٍ أو حزبٍ أو فكرٍ أو تيارٍ مُعينٍ، سينفضُّ عنه أتباعُهُ ويُحاربونه إن خالفهم

- اجتماعياً، بتنفير الناس منه
- أو اقتصادياً، بقطع راتبٍ أو إفسادِ شراكةٍ مالية

نفسية:
- ولها أسبابٌ قد تجتمِعُ وقد ينفردُ أحدُها عن غيرِهِ:

- **الأول:** ما اعتادَهُ مِن القفزِ إلى الترجيح عن غير تأهُّل
- **الثاني:** يكونُ إذا كان هذا السالكُ مُتصدراً، فإنه يصعُب جداً على المرءِ المُتصدّر أن يعود على نفسِهِ بنقضِ ما بناه أو بالإقرار بجهله وخطإه
- **الثالث:** أنّ معنى الانتقال من مرحلة لأخرى: أن يعكُفَ على نفسِهِ حتى يتأسّس مِن جديدٍ إذ قد تبيّن له تهاوي بُنيانِهِ القديم - وهذا صعبٌ على النفسِ جداً

عقلية: مبناها عدم إدراك التناقض والخلل في البناء الفقهي عند المتأرجحين

مُصْطفَى دَنْقَش